المحسنات البديعية في شعر الشاعر البسطي الاندلسي (890هـ)

أ.م.د. ندى عسكر محمود
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية / قسم اللغة العربية
dr:nada1974@yahoo.com

مستخلص البحث:
تعد المحسنات البديعية من الوسائل البلاغية اللفظية والمعنوية ، يستخدمها الاديب لتزيين الكلام ، واكسابه جرساً موسيقياً ومعنوياً ، وهذا ما جسده الشاعر البسطي الاندلسي في موضوعاته واغراضه الشعرية ، في استخدامه الطباق سلباً وايجاباً ، والجناس ، والتورية ، وتحسين الكلام ورعايته لمقتضى الحال ، ووضوح الدلالة عليه .

المقدمة:
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه اجمعين :
تعد المحسنات البديعية وجهاً من وجوه تحسين الكلام لفظاً ومعناً ، كالجناس، والطباق ، والتورية ، وهي من الفنون التي شهدت عناية النقاد والادباء في الاندلس بصورة خاصة ، وطبيعة تناولهم لتلك المحسنات التي ينبغي أن تشهد التجديد والابداع وصفاً وتحليلاً وأحصاءً ، والوقوف عند الشواهد الشعرية ، وتحديد الهدف الذي وضعت في خدمته وهو نشدان الجمال ، أو الايحاء ، أو الموسيقى ، أو تأكيد الفكرة ، أو التلاعب اللفظي والمعنوي ، وما الى ذلك مما يخدم النص الأدبي في نظر الشاعر أو الناقد ، وهذا هو غاية وهدف اختيار موضوع بحثنا هذا الموسوم بـ(المحسنات البديعية في شعر الشاعر البسطي الاندلسي) (ت876ه) ، وهو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي البسطي ، كان شاعراً وفقيهاً وخطيباً ، ولد في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بمدينة بسطة ، عاش في عصر انحلال دولة غرناطة واضمحلال مملكتها (1410م-1492م) ، وقد غلب الصراع والفتن والقتال بين النصارى المتصارعين على الملك ، فقد ظل الشاعر مقيماً في بسطة الى أن وافاه الأجل المحتوم في تاريخ لم يستطع أحد تحديده والمرجح أن يكون سنة (876ه) او (890ه) ، وادرك المرحلة الحاسمة والاخيرة من سقوط مملكة غرناطة ، وما تميز شعره به ، كونه شديد الارتباط بشخصيته وقوي الاتصال بحياته ، ووثيقة أدبية تصور لنا مستوى بلاغة الشاعر البسطي وثقافته ، وكيف كان شعره قطعة حية من حياته ، وهنا نسوق دراسة المحسنات البديعية لدى الشاعر البسطي ضمن محتوى موضوع بحثنا هذا ، والذي تضمن دراسة الجناس وتلاعب الفاظه وحروفه والطباق سلباً وايجاباً ، والتورية في تجسيده وصياغته للاسلوب البديعي في التعبير عن المعاني الذي رام اليها الشاعر البسطي .

توطئة :

تطلق المحسنات البديعية في عرف أهل البلاغة على الوجوه اللفظية والمعنوية لتحسين الكلام [1]، كالجناس، والطباق، والتورية ، وهي من الفنون التي شهدت عناية النقاد والادباء بالأندلس، ابداعاً وتعليماً ، ورصداً ، وهو ذلك الاسلوب البديعي الذي تلونه تلك المحسنات اللفظية والمعنوية بصورة واضحة ، وما لها من اهمية في التعامل المبدع مع النصوص الادبية ، وذوق العصر الذي ظهرت فيه، وما جسدته تلك المحسنات في القصيدة الاندلسية بصورة خاصة من مظاهر الفن الشعري باستخدامها بشكل عفوية غير متصنع ، مما انتج آثاراً ايجابية في كيفية تحليل تلك النصوص الشعرية بعيداً عن التكلف والتصنع ، ولهذا فقد حظي التحسين البديعي بعناية الشعراء ، وشراح النصوص الادبية ، على تفاوت بينهم في قدر العناية وعمقها ، واشار ابن خلدون في مقدمته الى اهتمام الادباء المغاربة بعامة بهذا الفن حين قال : ((وإنما اختص اهل المغرب من أصنافهِ علمَ البديع خاصة ، وجعلوه من جملة علوم الادب الشعرية ، وفرعوا له القاباً وعددوا أبواباً ... وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ ، وأن علم البديع سهلُ المأخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان)) [2]، وهذا النص في مجمله يؤكد ان المغاربة كانوا يهتمون بالبديع ، ويولون زخارفه المعنوية واللفظية جلَّ اهتمامهم ، ولهذه العناية مظهر تأليفي في تجاوز كتب البلاغة والادب والنقد الى كتب التفسير والتراجم ، فمن كتب التفسير التي عُنيت بالبديع (كتاب التسهيل) لمحمد بن جزي الذي خصص الجزء العاشر من مقدمته للفصاحة والبلاغة وادوات البيان فكان البديع مشمولاً بذلك [3]، ومن كتب التراجم التي اعتنت بالبديع ودراسة المحسنات البديعية (نثير الجمان) لابن الاحمر الذي جمع بين الترجمة والاختيارات الشعرية بقوله عن الشعر ((فلنشرع في بعض ما يتعلق به من علم البديع ، من تجنيس ، وترجيع ، وغير ذلك مما يندرج تحته، فمن ملك زمام ذلك فهو المقدم لحمل راية الادب، ومن كان خلياً منه فباعه في الاجادة لا محالة قصير)) [4].

وهكذا ، فبالرغم من العناية بالبديع ومحسناته اللفظية والمعنوية ، والاهتمام به من قبل بعض النقاد له كإسماعيل بن الاحمر ، فإن منهم من يستهجن الآثار منه والتكلف فيه ، ويراه دليلاً على العجز في مضمار البلاغة، كقول ابن خلدون: ((إن اصحاب الاذواق في البلاغة يسخرون من كلفهم بهذه الفنون ، ويعدون ذلك من القصور عن سواه .... وكان من أهل البصر في اللسان والفريحة في ذوقه بقول، إن من اشهى ما تقترحه عليَّ نفسي ان اشاهد في بعض الايام من ينتحل فنون هذا البديع في نظمه أو نثره ... ويتعاطوا هذه الصنعة فيكلفون بها ويتناسون البلاغة)) [5]، وبهذا كان الاعتدال في طلب البديع ومحسناته من رأي النقاد وعلماء البلاغة وأنه مبرز في علوم اللسان وصناعة البديع والمستحسن منه ما كان عارياً عن التكليف ، وان هذه الفنون البديعية اذا وقعت للشاعر او الكاتب

---

(1) ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : 188 .
(2) مقدمة ابن خلدون : 3/175-1276 .
(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : 13/1 وحديثه عن ادوات البيان فهي صناعة البديع وهو تزيين الكلام .
(4) نثير الجمان : 51 .
(5) مقدمة ابن خلدون : 1320-1321 .

فيقبح اذا استكثر منها ، لأنها من محسنات الكلام ومزيناته ، فهي بمثابة الخيلان في الوجه، يحسن بالواحد أو الاثنين منها ويقبح بتعدادها [6]، وهنا نلحظ ان شعراء الاندلس عامة قد ولعوا بالبديع ومحسنات لفظاً ومعناً لسهولة مأخذه وصعوبة مآخذ البلاغة والبيان ، وبهذا كانوا بعيدين عن الصنعة والتكلف ، وهذا الولع لديهم هو التحسين البديعي الذي كان بمثابة التعويض عن عدم رغبتهم في تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ، وكان شعراء الاندلس اقرب الى تحصيل هذه الموهبة والملكة الفنية والبديعية وتعليمها بشكل أيسر وأسهل ، بعيداً عن التكلف والتصنع مجسداً ارتباط هذه الملكة او الموهبة بالكلام ومنظومه الخالي من ذلك التكلف ، وحضور تلك المحسنات البديعية في اشعار الاندلسيين وحرصهم على تلوين أشعارهم بها طبقاً لمستوى تداولها بينهم .

وهنا نلحظ شعراء الاندلس وقد أولعوا بالبديع ومحسناته ، ولم نجد تكلفاً ولا تصنعاً في طلبه ، ومن المهتمين بالأسلوب البديعي وتحسينه ، الشاعر الاندلسي محمد بن عبد الكريم البسطي ، الامر الذي جعل بعضها يحتل الصدارة في كثرة الاستخدام ضمن ديوانه الشعري ، كالجناس ، والطباق ، والتورية ، اما الجناس فقد تصدر بقية المحسنات البديعية لدى الشاعر البسطي الاندلسي والتي سنعرضها لأهميتها فيما يأتي :

اولاً : الجناس :

الجناس او التحسين هو تشابه اللفظين في النطق تشابهاً تاماً او جزئياً مع اختلافهما في المعنى [7]، وقد كان لتعدد أنواعه ، ولشغف الشعراء والمتلقين بها تأثير كبير في تقدم هذا المحسن اللفظي والمعنوي على نظائرهِ منن فنون البديع ، وربما كان ذلك سبباً لتصديره في المؤلفات والكتب البلاغية ، والشروح الادبية ، وقد يكون هدف الشاعر عامة من الجناس ((ليس في الحقيقة الا تفنناً في طرق ترديد الاصوات حتى يكون له نغمٌ وموسيقى)) [8]، وبهذا يكون النغم نتيجة من نتائج التجنيس، ومدى علاقة الالفاظ بدلالاتها بكونه عنصراً مساعداً على إثراء النص الشعري بالموسيقى واظهار البراعة والابداع في استخدام ذلك المحسن البديعي .وهنا نلحظ مهارة وابداع الشاعر الاندلسي البسطي في كيفية استخدامه للجناس ، تلك المهارة التي تميزت بعفوية الشاعر وبعده عن التكلف والتصنع ، موضحاً ميله الى استعمال الوسائل الفنية في تلوين اسلوبه البديعي ، وتعكس ذوقه وشاعريته في تحصيل الجناس وصوره الجميلة ، مجسداً اهتمامه بهذا الفن البلاغي وشغفه في التحسين البديعي ، وكيف جعله في ثنايا شعره وقوافيه بقوله [9]:

ولو أنه أمضى مرقَّعَ حُكْمه لألفى الى إمضاءِ ذلكَ سبيلا

وهنا اجتمعت لفظتا (أمضى وإمضاء) في اشتقاقين لتكون جناساً ذا جذرٍ واحد في جناس الاشتقاق هذا ، دون أن نحس التكلف او الثقل في التعبير واقتناص البديع او التعمد في الحصول على نغم موسيقي ، وهو يعبر عن كيفية التماسه السبل الى عدم تنفيذ الحكم عليه بالظلم من الخليفة وعزمه

---

(6) ينظر : الاحاطة في اخبار غرناطة : 181/2 .
(7) ينظر : اجناس التجنيس في البديع في نقد الشعر : 12 .
(8) موسيقى الشعر : 53 .
(9) ديوانه : 74 .

على الرحيل عن بسطة بلدة الشاعر .وقوله ايضاً وهو يفكر في بسطة وأهلها ، ومدحه للخليفة او الامام ، متذكراً أيامها وأماكنها ونعيم رياضها ، وسعده وانسه بمن هواه فؤاده [10]:

وظلاً ظليلاً في ريـــــاض تنعُّـــمٍ يطيب مثوى للفتى ومقيلاً
وسعداً بما يهوى الفؤاد مساعداً وأنساً وصولاً بُكرةً وأصيلاً

وهنا لا ننكر ما اكسبته هذه الأبيات من موسيقى ظاهرة في هذا الجناس شبه الاشتقاقي ومدى علاقة تلك الالفاظ ومدلولها المعنوي في رسم صورة اسلوبه البديعي والذي كان يبدو مراعاة لحاجة القافية التي اقتضاه نظم ابياته الشعرية .

ونلحظ براعة الشاعر البسطي الاندلسي في استخدامه للجناس الاشتقاقي خاصة ، وهو يعبر عن الظلم والجور الذي لحق به ، وقد اشتدت عليه وطأة الحاجة وكثرت مطالبه ومطالب عياله شاكياً حاله بقوله [11]:

فالهطلُ عند نزول الغيث واكفهُ قد ضرني ضرراً ما مثله ضَرَرُ
ما بعث به مع واصلٍ أوصِلْ به متفضلاً تُذهب بـــه ضـــرّاءَهُ
فلقد غدا من حاجة حلـــت به في مصره ساوى بهـــا فقراءَهُ

واستخدم البسطي اسلوبه البديعي في جناسه الاشتقاقي في الفاظ (ضرني ، ضرراً ، ضرر ، واصلٍ ، أوصل) مجسداً غايته العفوية دون قصد ، في تعبيره عن المعنى الذي رام اليه .

وقوله في المعنى نفسه [12]:

ولو أنه أمضى مرفه حكمـــه لألفى الى إمضاءِ ذلك سبيلاً
فلا تعذلاني في رحيلي عنكما فإني لما ألقى عزمتُ رحـيلا

وهنا نلحظ تأكيد الشاعر البسطي الاندلسي على المعنى وعلاقته بموسيقى الفاظه في اسلوبه البديعي في الفاظ (امضى ، امضاء ، رحيلي ، رحيلاً) .

ونجد قدرة الشاعر الاندلسي وهو يدخل في صنعته البديعية هذه ، براعته وتجدده وتفننه وتلاعبه اللفظي في سعيه لصياغة اسلوبه البديعي بعيداً عن الثقل والتكلف في جناسه ، وهو يعبرُ عن مدحه لأحد قادة الجيوش العربية مشيداً بأصله وامجاده قدراً ومنصباً بقوله [13]:

وعادوا وقد حازوا من الاجر مثلما بوادي الأشى من أجرهِ حازَ حامدُ
أجلُّ ولاةِ الوقت قـــدراً ومنصـــباً وأمجدهُم مهـــما بُـــعدُّ الأمـــاجدُ

والفاظ (عادوا ، حازوا ، الاجر ، اجل ، امجدهم ، أماجدُ) هي صياغة الشاعر لأسلوبه البديعي لأبيات شعره هذه ، في جناس اشتقاق أو شبه اشتقاق ، مما اكسب هذه الابيات موسيقى شعرية ظاهرة . وقوله مظهراً بلاغته وسحر بيانه في رثاءه لصاحبه مستخدماً الاسلوب نفسه [14]:

([10]) المصدر نفسه : 75 .
([11]) ديوانه : 64 .
([12]) المصدر نفسه : 56 .
([13]) ديوانه : 121 .
([14]) المصدر نفسه : 127 .

لو كان يمكنني الفداءُ فديتهُ بالنفس محتسباً فِداء المشفق

وهنا نلحظ أن الجناس عنصراً مساعداً على اثراء الموسيقى الشعرية ، وهذا الأثر واضحاً في ابيات الشاعر البسطي وايقاعها الموسيقي وتجنيس حروفها والخصوصية الموسيقية ، فقد كان مولعاً بشعر الجناس وهو يعبر عن مشاعره وعواطفه تجاه الاهل والاحبة وناسه في المرية وحنينه اليهم في قوله [15].

لعمرك ما أستحال الحبُّ عندي ولا أني لعهدِ هـــــواكَ ناســـي
أزورك بالمريـــــــة كـــــل يـــومٍ وما سافرتُ عن أهلي وناسي

وهنا جانس البسطي بين لفظتي (ناسي في البيت الاول وناسي في البيت الثاني) جناساً تاماً ، اللفظتان متشابهتان باللفظ ، مختلفتان بالمعنى ، الاولى يقصد بها (النسيان) واللفظة الثانية (ناسي) يقصد بها الاهل والاحبة وناسه في المرية ، وهنا جسد الشاعر بأسلوبه البديعي ومحسناته البديعية ، والجناس خاصة قدرته على الصياغة وبراعته في ايجاد علاقة قوية بين الفاظه المجانسة ودلالتها المعنوية الخاضعة لغاية الشاعر في استخدامه هذا بعفوية وصدق منطلقاً من صدق التجربة وحقيقة تجاربه العاطفية بعيداً عن الثقل والتكلف ، حتى نلحظ بحق ان اغلب شعره هو شعر جناس بأنواعه .
ونلحظ مهارة الشاعر البسطي في استخدامه للجناس التام مجسداً ميله الى استعمال الوسائل الفنية في تلوين اسلوبه البديعي وصياغة ابياته الشعري في التعبير عن هدفه والمعنى الذي يروم اليه وايصاله للمتلقي بقوله وهو يعارض وينتقد مَنْ أحرق حانوته وأوذي لا لسبب ما ، سوى انه يقول الحق ويراعي اصوله [16].

وأموا جميعاً بالإذابـــــة جـــــانبي على غير ذنب للأذى بمُحـــلِّل
سوى أنني أصبحتُ للحق ناصراً ولم ألتفتْ منهم الى عَدْل عُدَّل

وهنا جمع بين لفظتي (عَدْل عُدَّل) في جناس تام تشابهت فيها حروفها واختلفت فيها المعاني ، بين العدل الاولى ، والعُدل اللفظة الثانية .
وقوله وهو يصور الاحوال التي صارت اليها بلاد الاندلس في آخر أيام الموحدين، وصراع العرب مع الروم ، والحرب ضد الاسلام والمسلمين [17].

الروم تضربُ في البلاد وتنعم والجورُ يأخذُ ما بقي والمغرمُ
وذوو التعين ليس فيهم مُـــلمُ إلا مُعينُ في الفسادِ مُســـــلِّمُ

فقد جانس بين لفظتي (مُسلمُ ومُسلِّمُ) جناساً تام وقد اختلفتا في المعنى فالأولى قصد فيها المسلم بالدين ، والثانية قاصداً بها التسليم بالأمر الواقع والحال الذي صار اليه الاسلام والمسلمين .

ثانياً : الطباق :

يأتي الطباق ، وهو الجمع بين الضدين في الجملة [18]، في المقام الثاني بين المحسنات المعنوية ، فهو يدور على السنة الشعراء دوران التورية ، ولا يشبهه في كثرة الاستخدام من المحسنات اللفظية

---

(15) المصدر نفسه : 108 .
(16) ديوانه : 201 .
(17) ديوانه : 176 .

البديعية سوى الجناس ، والملاحظ ان الطباق والمقابلة هما اكثر محسنات شعراء الفكرة الذين يجدون في التحسين المعنوي مجالاً لتقليب المعاني ، والسعي وراء الجديد والطريق منها ، ومنهم الشاعر البسطي الاندلسي في مثل قوله وهو يصف كرب المسلمين عندما رأوا حشود عدوهم ، وما اعترى الناس من فزع كما وصف صدق المدافعة وبسالة المقاومة بزحفهم تجاه العدو وتخاذله أمامهم [19]:

وتطلعوا فرقاً لهـــدم معـــالم للدين شيدَ بناؤها واستشرقوا
لما دنوا زحفوا لما بجميعهم فتخاذلوا فكأنهم لم يزحفـــوا

وهنا جمع الشاعر البسطي في ابياته هذه بين الفاظ متناقضة بطريقة لا تخلو من مهارة وفنية وابداع واستخدامه لطباق السلب او النفي ، والطباق الايجاب المثبت في لفظتي (هدم معالم - وشيَّد بناؤها) والنفي في لفظتي (زحفوا – لم يزحفوا) ، وكل ذلك لتأكيد الفكرة وهي مدى شجاعة المسلمين وبسالة الدفاع عن الارض .

ونلحظ عناية الشاعر بهذا المحسن البديعي ، في هدف التظاهر بالبراعة وهو يشكو تذمره من إهمال الدين وغلبة الجور والظلم وضياع العدل والحق ببسطه بقوله[20]:

أضحى إماماً بها لو لم يُجرْ زمنُ أعادَهُ بتوالي الجور مأمُوماً

وهنا جمع بين لفظتي (لم يُجرْ – الجور) في صياغة اسلوبه البديعي ، مستخدماً الطباق السلب في تأكيده للفكرة التي رام اليها البسطي .

ونرى الشاعر البسطي الاندلسي وهو يكثر من استخدامه لأسلوب التضاد السلب او النفي ، في صياغة اسلوبه البديعي ، للتعبير عن افكاره وصياغة نظم ابياته الشعرية ، بقوله وهو يصف حال القضاة بمدينة بسطة الاندلسية ، وما ذكره من احكامهم في سلب خطة القضاة في مدينة بسطة ، وما كان لها من هيبة وجلالة، والسبب هو تولية من ليس أهلاً لهذه الخطة وهو يخاطب بعض اولي الامر في هذا الشأن [21]:

فقد سُلبتْ في بسطة أصل وضعها بتقديم من لولاهُ لم تكُ تسلبُ

فقد طابق الشاعر بين لفظتي (سُلبت – لم تكُ تسلبُ) طابقاً سلباً ، للعناية والاهتمام والتأكيد على هدف الشاعر وفكرته وطبيعة ايصالها للمتلقي .والشاعر البسطي يخاطب قضاة عصره شاكياً فقره وعوزه من مبلغ قليل من المال وجهه القاضي اليه مع أحد أعوانه فأخذ العون بعضه ، ووجد الشاعر فيما وصل اليه نقداً زائفاً ، وإيثار القاضي الى أحد منافسي الشاعر وتخصيصه بالحظ الاوفر من العطاء اكثر من شاعرنا البسطي بقوله [22]:

وأعليتُمُ مقداره بفعالكم ووالله لولا أنتم لم يكن يعلو

([18]) ينظر : نقد الشعر : 36 . ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : 130 .
([19]) ديوانه : 182 .
([20]) ديوانه : 209 .
([21]) المصدر نفسه : 196 .
([22]) ديوانه : 149 .

وهنا جمع الشاعر بين لفظتي (اعليتم – لم يكن يعلو) في اسلوب متضاد نافياً الصفة التي وجدت في احد منافسيه لدى القضاة . وقوله في المعنى نفسه ، والاعتزاز بالنفس وقيمتها [23]:

ومَنْ جهلت نفسه قدره رأى غيره ما لا يرى

وهنا نلحظ الشاعر جمع بين لفظتي (رأى – ما لا يرى) مؤكداً عنايته بهذا المحسن البديعي والمعنوي وتقديمه على غيره ، حتى نجده قد اكثر من استخدامه لهذا النوع من التضاد السلب او النفي ، فضلاً اكثاره أيضاً من اسلوب التضاد الايجاب ، حتى نجده قد غلب على اغلب ديوانه الشعري بأغراضه المتنوعة ، بقوله وهو مخاطباً أهل العلم الصلاح ويسأله الدعاء [24]:

رعُوا الباطلَ المذمـــــمَ فيـــنا وغدا فينا الحقَّ ما إن يُراعى
واعتمدْ وصلها صباحَ مساءً فيها للخطوبِ نرجو أنقطــاعا

وهنا طابق الشاعر بين لفظتي (الباطل – الحق وصباح – مساء) طباقاً مثبتاً، تأكيد منه للفكرة والعناية بالهدف الذي رام اليه الشاعر بإيصاله لدى المتلقي .

وقوله وهو يقوم بتسجيل حوادث الحرب والقتال في تاريخ مملكة غرناطة ، ومصير الاندلسيين المظلم ، وتنازع رؤسائهم على الملك وتهافتهم على أكل أموال الناس بالباطل وانعدام العدل الذي هو اساس العمران ، وإهمال الدين ومؤسساته [25]:

مخايل هذا الحال تُؤذنُ بالهلك وتفضي لنا بالذلِّ والعزِّ للشركِ
وهيهات من إدراك حقٍّ ببـــاطلٍ وغش وتدليس وبهتانٍ أو أفكِ

استخدم الشاعر البسطي الطباق المثبت أو الايجاب بين الفاظ (الذل والعز – الحق والباطل) في صياغة اسلوبه البديعي وطريقة إيصاله للمعنى الذي أراد التعبير عنه.

ونلحظ الشاعر البسطي وقد أفاد من اسلوب الطباق وتضاد الفاظه في صياغة نظمه وسرعة ايصاله للفكرة والمعاني التي رام اليها الشاعر وتأكيدها لدى المتلقي ، بقوله وهو يخاطب الوزير أبا يحيى ابن عاصم في مدينة بسطة مستنصراً به على خصومه في بلده [26]:

أنت الدواءُ إذا ما أعضَل الداءُ ورامَ هضمي حسادُ وأعداءُ
وكسوتَه ثوب الفخار تفضـــلاً فملكتَ مغربه كملكك مشرقهْ

وهنا جمع بين الفاظ متضادة وهي (الدواء والداء - ومغربه ومشرقه) للعناية والاهتمام بالمعنى .وهنا الشاعر البسطي وهو يهجو بعض النفوس الضعيفة التي تواطأت من المفسدين ، وابطالهم حق الناس وانكارهم نصيبهم بقوله [27]:

فدون صغيرهم في اللؤم كلبٌ ودق كبيرهم في الظُّلمِ ذيبُ

---

(23) المصدر نفسه : 133 .
(24) المصدر نفسه : 209 .
(25) ديوانه: 174 .
(26) المصدر نفسه : 102 .
(27) ديوانه : 62 .

والتضاد هنا بين لفظتي (صغيرهم وكبيرهم) ، وهنا نجد الشاعر البسطي وقد أعتنى بهذا الاسلوب البديعي والمعنوي نفياً وأيجاباً وتقديمه على غيره من الاساليب البديعية ، بعد الجناس ، وهو ينظم ابياته في اغلب ديوانه الشعري بأغراض متنوعة، ومعاني وافكار متعددة .

ثالثاً : التورية :

هي أن يُطلق لفظٌ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد [28]، وقد لوحظ كثيراً من المتأخرين كثرت رغبتهم في التورية واشتد حرصهم على تحصيلها حتى أتوا بها واهيةُ الابنية ، واستعملوا فيها الالفاظ المبتذلة [29]، ومنهم مَنْ وضع شروطاً لألفاظ التورية فقال : ((وإنما ينبغي أن تكون بالألفاظ المصونة والمنزَّلة منزلة الجواهر المكنونة))[30]، فضلاً عن عناية الشعراء بهذا الفن البديعي والمعنوي بسبب وضوح مقصدها ومغزاها ، وتميزها عن سائر الفنون والمحسنات المعنوية الاخرى ، ولهذا فقد عدَّها ابن الخطيب في كتابه السحر والشعر ، في باب (السحر) لما تحركه من قوة التعجب [31]، وهناك من يراها جديرة بالانتقاء بين ما اختاره من المقطوعات التي تسفر عن بياتها المُغرب ، وتأتي من أنواع البديع بكل مُرقص مطرب .. [32]، أما على مستوى النتائج الشعري فقد كثرت التورية في النظم الشعرية قصائد ومقطوعات ومقدمات ، ومزدوجات ، وقال أبو جعفر الرعيني إنه ((طرَّز بالتورية برودها ، وحسن في ذلك صُدورها ووردوها ، ورأى فيها بسور القرآن كلها على الترتيب فجاء بالحسن النادر ، والمعنى الغريب)) [33].

وهنا نلحظ ورود التورية في شعر الشاعر البسطي الاندلسي في اغراضٍ متنوعة ، كقوله في قصيدة له وهو يرثي ابنين له توأمين مات أحدهما بإثر الآخر ، وكانا يسميان بالحسن والحسين ، كما هو العرف عندنا الى يومنا هذا [34]:

أوى حُسين وأدوى بعده حسنُ فطار بعدهُما عن مقلتي الوسنُ

وهنا استخدم الشاعر اسلوب التورية إذ يمكن للمتلقي أن يفهم منه أنهما ماتا في الطفولة المبكرة وقد حزن عليهما حزناً شديداً ، قاصداً بذلك معنى يعيد لأولاده التوأم ، وليس المعنى القريب لمفهوم تلك الاسماء الكريمة للأمامين الحسن والحسين (عليهما افضل السلام) ..

ونجده وقد ابياتاً من مقطوعة له ويشكو سقم حاله وعجزه ، ذاكراً مرضه مبتهلاً وداعياً الشفاء منه بأسلوب ومعنى غير مباشر يفهم معناه من بعيد بقوله [35]:

لا تؤاخذني بما أسلفته وتفضل من شكاتي بالشفا

---

[28] ينظر : الحلة السيراء : 447 . والبديع : 60 لاسامة بن منقذ .
[29] ينظر : طراز الحلة : 475 .
[30] المصدر نفسه : 476 .
[31] ينظر : السحر والشعر : 14 ، 52 .
[32] مختارات ابن عزيم : 24 .
[33] طراز الحلة : 476 .
[34] ديوانه : 45 .
[35] المصدر نفسه : 44-45 .

وقوله وهو يفصح عن هواجسه ويستحضر ذكر الموت في سن الاربعين ، معبراً بمعناه غير المباشر تطلعه الى تأدية فريضة الحج [36]:

مرور الاربعين أطارَ نومـي وأجرى فوق صفح الخدِّ دمعي
وما يشفي الذي أشكوه إلا مَبيتي مُحرماً أدعـــو بجمــع

وقد أكثر الشاعر البسطي ألفاظ التورية بمعناها البعيد وهو يتحدث شبابه وسيبه وعمره ، كقوله وهو يشير الى بلوغه الخمسين وامتداه عمره الى أكثر من هذا[37]:

أيلهو امرؤ مثلي صباه قد انقضى بخمسين عاماً قد تولت من العمر

وقوله [38]:

وشاب عِذاري واستحال سواده وبالموتِ لاشك المشيبُ يقادُ

وقد أخذ الغزل النصيب الاوفر لدى الشاعر البسطي في استخدام الالفاظ التورية وصياغة اسلوب البديعي والمعنوي فيها بقوله ، وهو يتغزل بفتاة حسناء نصرانية تدعى (إلبيرة) وقد خففت عنه في أسره [39]:

شأني بأبذةٍ لا أستطيع لهُ وصفاً يوافي لساني عنـــه تعبيــره
والصبرُ في أسرها ما كنت آلفـهُ لولا اجتلائي في حسن إلبيرة

واليها يشير هنا في هذين البيتين موريا بأسمها الذي هو اسم مدينة اندلسية (إلبيرة الاندلسية) وباب في غرناطة ، وهنا كانت التورية الفاظ الاماكن الاندلسية واضحة في شعر الغزل للشاعر البسطي .
وهنا نلحظ الشاعر البسطي مولعاً بشعر التورية فضلاً عن ولعه بشعر الجناس والطباق ، ولهذا وجدناه مستخدماً الفاظ التورية ، بقوله وقد ورَّى بأبي حامد الغزالي وكتابه (مشكاة الانوار) وتوريته باسم القاضي ابي حامد قاضي القضاة في المرية بالاندلس [40]:

فتنتُ بمشكاة الانـــوار مِنْ كتابكمُ بغية القاصدِ
وليس عجيباً به فِتنتي فمصدرهُ عن أبي حامدِ

وقوله وهو يتشوق الى الحج ويحن الى الديار المقدسة ويحلم بذلك ، مستخدماً الفاظ الاماكن المقدسة في توريته للمعنى الذي يروم اليه [41]:

يـــــا بُقعـــــة شرفهـــا اللهُ ماذا بحُبي فيكِ ألقاهُ
بالقربِ من مغناكِ يبغي الشفا مُتيمُ القلب بشكواهُ

---

(36) ديوانه : 40 .
(37) المصدر نفسه : 41 .
(38) المصدر نفسه : 41 .
(39) المصدر نفسه : 37 . وينظر : 52 ، وقد ورى بأسم (هند) .
(40) ديوانه : 108 .
(41) المصدر نفسه : 92 .

وقد أبدع الشاعر البسطي في تفننه لألفاظ واساليب التورية في نظم اشعاره ، وهو يشكو الى ذوي السلطان وداعياً ومبتهلاً لله سبحانه وتعالى كي يأخذ الحق ممن اهتضم حقه وحبس عنه واجبه بقوله .[42]

فليس يرضى بمنع الحقِّ صاحبه ظلماً له من يـــــــرى لله مُنقلــبهْ
وقد نصحتكَ نصحاً إن عملت به عُصمتَ إذ لفظهُ حصُن لمن قلبَهْ

وقد ورَّى في هذا البيت الثاني عن المعنى الذي رام اليه الشاعر وهو أن مقلوب نصح هو حصن ، وهذا أشارة منه الى معناها البعيج الذي قصده البسطي هنا ، وليس ظاهره المباشر .

وهنا نلحظ الشاعر البسطي وقد استخدم الفاظ التورية في اسماء الكتب ، والاعلام المشهورة المقدسة والاماكن ، واسماء المتغزل بها ، واغراض متنوعة كالرثاء والغزل والشكوى ، والمديح ، منطلقاً بذلك من صدق التجربة وعمق الاحساس، وقوة الانفعال الذي ارتبط بحقيقة واقعية تجاربه الخاصة .

الخاتمة :

يعد الشاعر البسطي عبد الله محمد بن عبد الكريم من اهم واشهر شعراء القرن التاسع الهجري ، هذا القرن الذي اعتبر من اكثر القرون غموضاً وظلماً نتيجة كثرة الصراع والحرب والقتال بين النصارى والمسلمين والملوك في تلك المدة ، الا اننا وجدنا شعر شاعرنا البسطي الاندلسي وقد جسد وثيقة ادبية وتاريخية فقد كان شعره قطعة حية من حياته وثق فيها تجاربه الخاصة وظروفه وطبيعة حياته ، ولهذا تميزت نصوصه الشعرية بصدق التجربة وعمق الانفعال وحرارة الاحساس بأغراضه المتنوعة مدحاً ورثاءً وشكوى وغزل ، والتي انعكست على ابداعه وموهبته البلاغية في استخدامه للمحسنات البديع المعروفة والتي شاعت وكثرت في ديوانه الشعري كالجناس والطباق والتورية ، فقد احتمل الجناس المرتبة الاولى في صياغته لاسلوبه البديعي ، ومن ثم جاء الطباق سلباً وايجاباً ضمن المرتبة الثانية ، وبعد جاءت التورية التي كثرت ضمن استخدامه في نصوصه الشعرية للتعبير عن الافكار والاهداف والمعاني التي ارادها الشاعر البسطي ، فكان شعره بحق شعر الجناس ، والطباق والتورية ، واتضحت قدرة الشاعر البسطي في توظيف هذه المحسنات البديعية عن التعبير عن الاهداف والمعاني والافكار التي اراد ايصالها للمتلقي .

المصادر والمراجع

1. الاحاطة في اختيار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق امجد بن عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1973-1977 .
2. البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ ، تحقيق د. احمد بدوي ، ود. حامد عبد الحميد ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1380ه-1960م .
3. التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن احمد بن جزي ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، بدون تاريخ .

([42]) المصدر نفسه : 60 .

4. الحلة السيراء في مدح خير الورى ، ابن جابر الاندلسي ، تحقيق علي ابو زيد ، عالم الكتب ، الطبعة الاولى ، بيروت ، 1405-1985م .
5. ديوان البسطي آخر شعراء الاندلس ، ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم القيسي البسطي ، تأليف د. محمد ابن شريفة ، الطبعة الاولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1985 .
6. السحر والشعر، لسان الدين بن الخطيب ، مخطوطة ، الرباط ، د. محمد مفتاح ، ومصورة عن مخطوطة محققة ، بمكتبة الاستاذ محمد جبران .
7. طراز الحلة وشفاء العلة ، لابي جعفر احمد بن يوسف الرعيني الغرناطي ، تحقيق د. رجاء السيد الجوهري ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .
8. مختارات ابن عزيم الاندلسي ، علي بن عزيم الغرناطي ، تحقيق عبد الحميد الهرامة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1993م .
9. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1979م .
10. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دون تاريخ .
11. موسيقى الشعر ، ابراهيم انيس ، دار القلم ، بيروت ، 1972م .
12. نثير الجمان ، اسماعيل بن الاحمر ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، بيروت ، 1396ه-1976م .
13. نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، والمثنى ، بغداد ، 1963م .

Sources and references

1. Briefing on Choosing Granada, Lisan Al-Din Bin Al-Khatib, investigated by Amjad Bin Abdullah Anan, Al-Khanji Library, Cairo, 1973-1977.
2. Al-Badi' in Criticism of Poetry, Osama bin Munqith, investigated by Dr. Ahmed Badawy, Dr. Hamed Abdel Hamid, published by Al-Khanji Library, Cairo, 1380 A.H.-1960 A.D.
3. Al-Tashil for the Science of Downloading, Muhammad bin Ahmed bin Juzy, published by the Arab Book House, Libya, Tunisia, undated.
4. Al-Hilla Al-Sira' in Praise of Khair Al-Wari, Ibn Jaber Al-Andalusi, investigated by Ali Abu Zaid, Alam Al-Kutub, first edition, Beirut, 1405-1985 AD.
5. Diwan al-Basti, the last of the poets of Andalusia, Abu Abdullah Muhammad bin Abdul Karim al-Qaisi al-Basti, written by Dr. Muhammad Ibn Sharifa, first edition, House of the Islamic West, Beirut, Lebanon, 1985.

6. Magic and Poetry, Lisan Al-Din Bin Al-Khatib, manuscript, Rabat, d. Muhammad Muftah, and a copy of an edited manuscript, in the library of Professor Muhammad Gibran.
7. Tire' Al-Hilla and the Healing of the Illness, by Abi Jaafar Ahmed bin Youssef Al-Ra'ini Al-Gharnati, investigated by Dr. Rajaa El-Sayed El-Gohary, University Culture Foundation, Alexandria, undated.
8. Anthology of Ibn Azim Al-Andalusi, Ali bin Azim Al-Gharnati, investigated by Abdul Hamid Al-Harama, Arab Book House, Libya - Tunisia, 1993.
9. A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Majdi Wahba, and Kamel Al-Mohandes, Library of Lebanon, Beirut, 1979.
10.Introduction by Ibn Khaldun, Abd al-Rahman Ibn Khaldun, investigated by Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, Dar Al-Nahda, Egypt, third edition, Cairo, undated.
11.Poetry music, Ibrahim Anis, Dar Al-Qalam, Beirut, 1972.
12.Natheer Al-Juman, Ismail bin Al-Ahmar, investigated by Dr. Muhammad Radwan Al-Daya, Al-Resala Foundation, first edition, Beirut, 1396 AH-1976 AD.
13.Poetry criticism, Qudama bin Jaafar, verified by Kamal Mustafa, second edition, Al-Khanji Library, Cairo, and Al-Muthanna, Baghdad, 1963 AD.

Innovative Improvements In The Poetry of The Andalusian Poet Basti (890 AH)

Assit.Pr Of. Dr. Nada Asker Mahmood
Al-Mustansiriya University / College of Basic Education
The department of Arabic language
dr:nada1974@yahoo.com

Abstract
Rhetorical devices are verbal and conceptual means of expression used by writers to embellish their speech, giving it a musical and conceptual quality. This is exemplified by the Andalusian poet al-Basti in his poetic themes and purposes, through his use of antithesis (both positive and negative), paronomasia, double entendre, and by enhancing his language, adapting it to the context, and ensuring clarity of meaning.